# الملاحدة الجدد

كان الملاحدة الأولون في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر من المفكرين والصفوة، وكانت الأفكار الإلحادية غير مطروحة إلا في الجامعات وبين المهنيين.

أما اليوم فالإلحاد يشمل دوائر أوسع كثيرًا من العامة، ويرجع ذلك إلى وسائل الإعلام ووسائل التواصل الحديثة وإلى أن الأفكار الإلحادية وجدت تربة صالحة بين طبقات كثيرة من المجتمع كالشيوعيين وكالباحثين عن اللذة، وفي عام ٢٠١٠ كتب الإعلامي الكبير توم فلين مقالًا وضع الإلحاد الجديد في حجمه الحقيقي، جاء فيه:

ينبغي أن ندرك خطأ ما يثار حول حركة الإلحاد الجديد، فهي ليست جديدة ولا هي حركة! الجديد هو إثارة عاصفة عن طريق تركيز ناشرين كبار على طباعة وتسويق عدد كبير من الكتب الإلحادية حتى قرأها الملايين واحتلت قوائم أعلى المبيعات.

وبالرغم من ذلك فقد لاقى الإلحاد الجديد شيوعًا وقبولًا في الغرب لعدة أسباب أهمها:

١ - انهيار مؤسسة الأسرة وما صاحب ذلك من شيوع نموذج التقصير الأبوي واختلال نموذج الأم.

٢ - شيوع الفلسفة المادية المعاصرة والنسبية الأخلاقية.

٣ - نشاط الناشرين والإعلاميين المستفيدين من الترويج لهذا الفكر.

وقد استقر على رأس الإلحاد الجديد ملاحدة أربعة، نعرض فيما يلي تحليل بول فيتز لظروف نشأتهم لنرى مدى تأثيرها على تبنيهم للإلحاد.

**١ – ريتشارد دوكنز: (١٩٤١)**

ولد دوكنز في كينيا لأب يعمل بالجيش الإنجليزي وهو ابنه الوحيد، وعندما عادت الأسرة إلى إنجلترا ألحق دوكنز بمدرسة Oundle وهي مدرسة داخلية شهيرة ملحقة بالكنيسة الإنجيلية الإنجليزية، وكان مستواه الدراسي جيدًا وعرف في المدرسة بحبه للبيولوجيا.

ويضيف دوكنز علاقته بالكنيسة بأنه كان مسيحيًّا عاديًا حتى بداية العشرينات من عمره حين أدرك أن تطور داروين هو التفسير الأنسب لتنوع الكائنات الحية.

لقد أثرت هذه النشأة على دوكنز من خلال عدة عوامل:

١ – كان التحاقه بالمدرسة الداخلية يعني انفصاله عن والديه في العمر الذي تكتمل فيه نظرته لأبيه وأمه وعلاقته بالآخرين (نظرية الارتباط).

٢ – في أثناء وجوده في المدرسة، كان يجبر على حضور صلوات الكنيسة ضد رغبته.

٣ – في الحادية عشرة من عمره بينما كان تلميذًا في المدرسة الكنسية تعرض للتحرش الجنسي من أحد مدرسيه، وقد صرح دوكنز بنفسه بذلك في حوار مع مجلة التايمز في ٧ سبتمبر٢٠١٣، والعجيب أنه رفض أن يدين هذا التصرف – كما تقول المجلة – والأغلب أن هذه التجربة قد تركت في نفسه أثرًا سيئًا للغاية وموقفًا شديد العداء للدين.

من ذلك يمكن القول أنه قبل أن يدرك دوكنز الحجج العلمية والمنطقية وراء الإلحاد كان لديه بالفعل موقف نفسي ضد الدين مما مهد لتحوله إلى إلحاد.

**٢ - دانييل دينيت: (١٩٤٢)**

ولد الفيلسوف دينيت في بوسطن وهاجر مع عائلته إلى لبنان في أثناء الحرب العالمية الثانية ومن هناك سافر أبوه في مهمة للحكومة الأمريكية ومات في حادث طائرة. وقتها كان دينيت في الخامسة من عمره وهي سن شديدة الخطورة ففي هذه الفترة تتكون الرابطة بين الطفل وأبيه.

عاد دينيت مع أمه إلى أمريكا، ويقول عن حياته الجديدة: «في صباي كان عدد من أصدقائي أبناء لأساتذة بارزين في جامعتي هارفارد وإم.تي، وقد أفسدتهم هذه المميزات لما كانوا يلقونه من معاملة خاصة ولا شك أن مثل هذه المعاملة كانت ستفسدني لو كان أبي حيًّا».

لا شك أن هذا التفسير هو نوع من التبرير والإنكار لما يعانيه بسبب فقد أبيه.

**٣ - كريستوفر هتشنز: (١٩٤٩-٢٠١١)**

الصحفي الإعلامي الأمريكي، إنجليزي المولد، اشتهر بمعاداته للأديان وبهجومه على الأم تريزا، ومات مصابًا بسرطان المريء.

ينطلق إلحاد هتشنز من أن الإيمان بالإله يحطم حرية الإنسان، لذلك تبنى في كتاباته -بالإضافة للإلحاد - مهاجمة كل أشكال السلطة وكان مهتمًّا بالعمل الاجتماعي ثم تركه بعد أن أصبحت الجماعات الاجتماعية مركزًا للسلطة واتجه للدفاع عن حقوق الإنسان.

أما حياة هتشنز الخاصة فكانت عاصفة؛ كان والده ضابطًا في البحرية البريطانية، وكانت العائلة دائمة التنقل بين القواعد البحرية وبعد انتهاء خدمته التحق بعدد من الوظائف المحاسبية في شركات صغيرة، ويصف هتشنز والده بـ « الكوماندا» وبأنه قليل الكلام - وربما يفسر ذلك كراهية

هتشنز للسلطة -، وكانت علاقته بوالده ضعيفة لوجوده في مدرسة داخلية من سن ٨ : ١٨ سنة ولما كان والده بين المعجبين بالرياضة والرياضيين فقد سبب عزوف هتشنز عن الرياضة جفاء بينهما، إلا أن هتشنز ظل يحترم أباه بسبب إنجازات الأسطول البريطاني ضد ألمانيا النازية، وكانت العلاقة بين هتشنز ووالدته اليهودية قوية وكانت هذه السيدة تضخم من حياة زوجها العسكرية وكانت تبحث عن حياة أكثر إثارة، وعندما بلغ هتشنز العشرين من عمره تركت والدته والده وتزوجت من رجل دين إنجيلي يصفه هتشنز بأنه شاعر ورجل حالم.

وعندما بلغ هتشنز الرابعة والعشرين من عمره عثر على والدته وزوج أمه ميتين في فندق بأثينا بعدما تناولا معًا حبوبًا سامة، ومع ذلك اعتبر هتشنز أن زوجها مسئول عن موتها وقتها وكتب هتشنز يقول: «لم يعد لي عائلة» بالرغم من أن أباه كان حيًّا.

وقد انعكس انتحار الأم على كتابات هتشنز مظهر الانتحار في كتاباته الغزيرة وأسماه «ذبح النفس»، وهو اصطلاح استخدمه شكسبير على لسان هاملت في مسرحياته الشهيرة، لقد كان والد هتشنز وزوج أمه الرجلين الممثلين للأبوة في حياته ولم يحصل أي منهما عنده على الاحترام الكافي الذي يمكن أن يبني عليه احترامه للإله.

**٤ - سام هاريس: (١٩٦٧)**

كان طبيب المخ والأعصاب سام هاريس متعاطفًا مع البوذية كديانة غير إلهية؛ وذلك لاهتماماتها الروحية، وكان ناقدًا لاذعًا للمسيحية واليهودية والإسلام، وقد نشأ في عائلة علمانية لا تهتم بالأديان، وهاريس حريص على ألا يعرف عن نشأته شيء ومن ثم فالمتاح من المعلومات غير كاف للحكم عليه.

- الأب الملحد:

في المجموعات الأربع السابقة عرضنا لشخصيات كان للتقصير الأبوي فيها دور رئيسي «غير مباشر» في تبني الابن للإلحاد، والآن نطرح دور التأثير الأبوي المباشر بمعني أن يكون الأب ملحدًا في نفس الوقت محل حب وإعجاب الابن فيدفع ذلك الابن والبنت مباشرة للإلحاد.

جون ستيورات ميل: (١٨٠٦- ١٨٧٣)

لا شك أن من أفضل الأمثلة لتأثير حب وإعجاب الابن بأبيه الملحد هو شخصية الفيلسوف والاقتصادي البريطاني الكبير جون ستيورات ميل.

كان جيمس ميل (١٨٣٦ - ١٧٣٣) والد جون فيلسوفًا ومؤرخًا ورجل اقتصاد كبير ومشهور، وفي بداية شبابه درس جيمس الفلسفة والإلهيات وحصل على ترخيص بالوعظ، ومع ذلك تبنى الإلحاد بسبب مجادلة الشر والألم.

تلقى جون سيتورات ميل تعليمه بشكل كامل على يدي أبيه فتعلم اليونانية في الثالثة من عمره، واللاتينية في الثامنة، وفي سن الرابعة عشرة كان قد قرأ كل كلاسيكيات هاتين اللغتين، وقد قرأ أيضًا التاريخ ودرس الرياضيات والمنطق، وقد أعجب جون بالفلسفات الراديكالية التي يتبناها والده وأصدقاؤه المفكرون، ويكشف لنا جون أن تعليمه كان موجهًا للعلوم المنطقية والعقلية على حسب العلوم التي تهتم بالمشاعر والانفعالات كالشعر والأدب، لقد ظل جون طوال حياته مروجًا للمدرسة الفلسفية والأفكار الاجتماعية التي تبناها والده.

والمدهش أن كتابات الأب جيمس التي نشرت بعد وفاته كانت أقل رفضًا للإله من تلك التي نشرها في حياته بل إنه كان في بعض الكتابات يقبل

بعض الأدلة والشواهد على المفاهيم الغيبية للديانات.

ولعل أهم ملمح في سيرة جون سيتورات ميل ما ذكره فيما بعد من «أن تعليم أبيه الملحد له وتعلقه به لم يدعا الإيمان اختيارًا مطروحًا».

لذلك عندما استشعر ميل الحاجة إلى المفاهيم الغيبية لم يطرق باب الدين بل طرق أبواب غيبيات أخرى كاليوجا وقراءة الفنجان وغيرها وهو ما يسميه أستاذنا الدكتور عبد الوهاب المسيري - رحمه الله -» ميتافيزيقا بغير تكاليف».

تمثل سيرة هذين الشهيرين جون سيتورات ميل وأبيه جيمس نموذجًا لكيف يتلبس الابن شخصية أبيه الملحد تمامًا مثلما يتلبس شخصية أبيه المؤمن، وهذا التأثير المباشر يختلف عن التأثير غير المباشر للتقصير الأبوي.

وربما يكون فيلسوف الوجودية الفرنسية «سيمون دي بوفوار» مثالًا جيدًا آخر لدور الأب الملحد، وسنتناول هذه الشخصية بعد قليل.

- الإلحاد بين الرجال والنساء:

لعلك لاحظت عزيزي القارئ أن كل الشخصيات التي عرضها «بول فيتز» حتى الآن للاستدلال على نظريته في التقصير الأبوي كانت من الرجال، ربما يرجع ذلك إلى أن المرأة تتقبل بشكل أكبر من الرجال مفاهيم «الخلق والعناية» الإلهية بسبب ما تمر بها من خبرات الحمل والولادة والأمومة.

إذا كان «مصدر «الخلفية النفسية لتبني الإلحاد واحدًا في كل من الرجال والنساء وهو منظور التقصير الأبوي واختلال رمز الأمومة فإن «استجابة «كل من الجنسين تختلف عن الآخر فالرجال ينظرون إلى الإله باعتباره «مبدأ - رمز - مصدر» للقوة والنظام والعدل في العالم، ثم يأتي بعد ذلك

دور التواصل وإقامة العلاقة مع الإله؛ لذلك يمثل العقل والمنطق محور المنظومة الإيمانية عند الرجال أما عند النساء فتأتي العلاقة النفسية والانفعالية مع الإله في المقام الأول يتلوها النظر للإله كرمز – مصدر – للقوة والنظام والعدل.

لذلك نجد الرجال يبحثون في تبنيهم للإلحاد عن «مبدأ – رمز» بديل عن الإله يقوم به العالم؛ فها هي «كاترين تيت» ابنة «برتراند رسل» تخبرنا بأن الفيلسوف الكبير كان يجد في «الرياضيات» الحس الديني الذي يعوضه عن الإله، كما وجد أن منظري الثورة الفرنسية «كانوا ملاحدة أو شكاكين» في «العقل» البديل المأمول ويتبنى الملاحدة الجدد» العلم» فيشكلون في ضوئه رؤيتهم للعالم وفلسفاتهم الشخصية، ولا يكتفون بالنظر إليه كمنهج للحصول على المعرفة.

وتقابلنا غير ذلك بدائل أخرى للإله «الرمز – المبدأ «يتبناها الملاحدة مثل: «التقدم الإنسانية الاشتراكية الوجودية».

أما الفراغ الذي يسببه الإلحاد في نفس النساء بسبب فقد العلاقة النفسية مع الإله فلا بد من ملئه بعلاقة نفسية أخرى وهذا ما تعبر عنه بشكل مثالي«سيمون دي بوفوار».

لذلك تعتبر معظم النساء المتبنيات لفكر «التمركز حول الأنثى» الأنثوية أن الإله يمثل نوعًا من التسلط والسيطرة عليهن وهو جوهر ما يرفضنه في علاقتهن النفسية بالرجال، فيدفعهن ذلك لتبني الإلحاد؛ لذلك تجد هؤلاء النسوة البديل النفسي في الأنثوية ويصنفنها بأنها «الإلهة الأم»، وفي صميم بحث هؤلاء الأنثويات عن الاستقلال عن «الذكور /الإله» تتعمق علاقتهن بالعالم من خلال المرأة حتى في علاقتهن الجنسية (المثلية النثوية).

وانطلاقًا من الفرق نفسه بين الذكور والإناث في النظر لكلمة «مبدأ ورمز أم علاقة نفسية وانفعالية وتواصل» نجد أن مفاهيم مثل: الإله – القوة المطاعة – والذكاء المطلق – ومفهوم الربوبية الذي ينكر تواصل الإله مع البشر من خلال الديانات وأيضًا مفهوم وحدة الوجود الذي يرى أن وجود الله مثل هذه المفاهيم لها أرضية في الفكر الديني عند الرجال لكنها شديدة الندرة عند النساء إذ تخلو كلها من العلاقة النفسية والتواصل مع الإله.

ولا شك أن نظرة الرجال للإله باعتباره «رمز «ونظرة النساء له باعتباره علاقة نفسية يقف وراءها الاختلاف بين طبيعة المخ / العقل الذكوري، والمخ / العقل الأنثوي.

ففي هذا المجال نجد عالم النفس البريطاني» سيمون بارون كوهين» الأستاذ بجامعة كامبريدج يصف المخ / العقل الذكوري بأنه مخ / عقل» تنظيمي «يغلب عليه الاهتمام بالقوة والصراع وبالإنجاز وبالفكر المجرد والملفات التنظيمية، كما يتفوق في الرياضيات والعلوم التجريبية وتمثل له اللغة وسيلة لنقل المعلومات، أما المخ / العقل الأنثوي فهو مخ / عقل تعاطفي يغلب عليه الاهتمام بالعلاقة مع الآخرين وبالمفاهيم الإنسانية، ويتفوق في العلوم الإنسانية والاجتماعية وفي الأعمال التي تتطلب هذه الملكات، وتمثل اللغة بالنسبة لهذا المخ/ العقل وسيلة للتواصل وإقامة العلاقة مع الآخرين، ولا شك أن كل من المخين / العقلين يشتمل على النوعين من المهارات التنظيمية والعاطفية ولكن مع اختلاف الدرجة والأولوية.

**سيمون دي بوفوار (١٩٨٦ – ١٩٠٨):**

كانت رفيقة جان بول سارتر الشهيرة التي دافعت بشدة عن فلسفة الوجودية ويعتبر كتابها «الجنس الثاني» من أهم الكتب الملهمة في حركة «التمركز حول الأنثى» وفي الثورة الجنسية في نهاية ستينيات القرن

العشرين؛ لقد كانت سيمون ملحدة ولا شك أن الإلحاد هو أهم المفاهيم في الفلسفة الوجودية، وأيضًا في الماركسية التي تبناها كل من سارتر وسيمون مثل الكثير من المفكرين الفرنسيين في ذلك الوقت.

ولدت سيمون لعائلة من الطبقة البرجوازية وجاهد الوالدان ليحافظا على دخل يكفي أفراد الأسرة؛ كان أبوها محاميًا وكان شكاكًا وقد تأثرت سيمون بأمها إلى حد بعيد، وقد ربت الأم ابنتها تربية كنسية ملتزمة حتى إن سيمون كانت في صغرها سعيدة ومطمئنة بعلاقتها بالكنيسة، وكانت تحلم بأن تصبح راهبة وبينما كانت الأم لصيقة ابنتها وكانت تحضر معها دروس المدرسة حتى سن العاشرة، وتقرأ خطاباتها حتى سن الثامنة عشرة فعلى العكس كانت علاقة سيمون بأبيها ضعيفة وإن كان شك الأب في الدين معروفًا لسيمون وكان شديد التأثير عليها.

وقبل العشرين من عمرها بدأت سيمون تستنكر استئثار الرجال بالمعرفة وبالحقيقة نتيجة لما تراه من سيطرة الرجال على الكنيسة وفي تلك المرحلة تركت سيمون الدين وكانت تقول: «لقد مهد شك أبي لي الطريق فما كنت أجرؤ أن أنطلق وحدي في هذا الطريق الشائك؛ لقد شعرت براحة كبيرة عندما تحررت من قيود الأنوثة ومن قيود طفولتي».

كانت سيمون في العشرين من عمرها حين التقت بسارتر الذي كان يكبرها بثلاث سنوات، لقد انطلقت تجاهه بشدة كالسهم وذابت فيه تمامًا وكتبت سيمون في مذكراتها قائلة: «كانت ثقتي في سارتر مطلقة لقد أمدني بالطمأنينة الكاملة التي لم أعد أجدها في عائلتي ولا في الإله»، وقد ظل ولاء سيمون لسارتر طوال عمرها كولاء زوجة مسيحية مطيعة لزوجها بالرغم من العلاقات العاطفية التي كان يقيمها كل منهما مع آخرين من حين لآخر.

كيف تفسر ولاء وإخلاص سيمون – اللذين لم يهتزا – لسارتر؟

وتتساءل توري موري Tori Mori إحدى الأنثويات اللاتي كتبن عن سيمون لماذا لم تكن سيمون تدع فرصة إلا وتؤكد أنها أدنى فكريًّا من سارتر؟ الإجابة عن السؤالين باختصار أن سارتر قد» صار إلهها».

وإذا كان شك والد سيمون في الإله قد مهد لها طريق الإلحاد – مثلها مثل الرجال – فإن بول فيتز يركز في عرضه لحالة سيمون دي بوفوار على إظهار اختلاف موقف كل من الرجال والنساء الملاحدة بعد أن يرفضون الإله إن سيمون «استبدلت» علاقتها النفسية بالإله علاقتها بسارتر وقد حافظت طوال حياتها بإخلاص على هذا الارتباط الذي شكل في بداية حياتها الفكرية وبالمقارنة وضع سارتر إلحاده – علاقته بالإله كمبدأ أو كرمز – في قلب فلسفته الإلحادية، وبينما كان شعار سارتر: «الجحيم هو الآخرون»